السراج الوهاج

من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج

تأليف

الشيخ العلامة أبي الطيب صديق بن حسن خان

الحسيني القنوجي البخاري

وهو شرح على ملخص صحيح مسلم للحافظ المنذري

تغمدهما الله بواسع رحمته ورضوانه

الجزء العاشر

تحقيق

فضيلة الشيخ/عبد التواب هيكل

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

يبدء الجزء العاشر

من كتاب السّراج الوهّاج

مِن كَشْفِ مَطَالِب صَحِيح مُسْلم بن الحَجَّاج

بَابُ : خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنُ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ

ويتأولون هذه الأحاديث ، على أنه كان على البحر ، لا على الأرض . أو أنها « عام مخصوص » . انتهى .

قلت : وما أبرد هذا التأويل : فإن « الأرض » : تشمل البر والبحر ، بلا شك . والبحر على وجه الأرض . وقد سبق في محله : أن الخضر « عليه السلام » لا دليل على حياته[1] . ولابدّ لتخصيص العام من مخصص ، يصلح للتخصيص . ولا مخصص هنا . وقد بسطنا القول على معنى حديث الباب ، في كتابنا : « دليل الطالب ، على أرجح المطالب » . فراجعه .

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وَفَضْلِهِمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ

وقال النووي : (باب تحريم سبّ الصحابة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٢ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ رضي اللَّهُ عَنْهُ[2] ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « لَا تَسُبُّـوا أَصْحَابِي[3] ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ : ذَهَبًا ، مَا أَدْرَكَ : مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ ») .

---

(١) وأنا مع المؤلف ، في ذلك . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث جملة . « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) (لا تسبّوا أصحابي) . ذكرت هذه الجملة ، في مصدر الحديث مرتين ، لا مرة واحدة . المحقق .

(الشَّرح)

قال النووي : اعلم أن سبّ الصحابة ، رضي الله عنهم : حرام ، من فواحش المحرمات . سواء من لابس الفتن منهم ، وغيره ، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب ، متأولون ، كما أوضحناه في أول فضائل الصحابة ، من هذا الشرح .

قال عياض : وسبّ أحدهم ، من المعاصي الكبائر . ومذهبنا ، ومذهب الجمهور : أنه يعزّر ولا يقتل . وقال بعض المالكية : يقتل . انتهى[1].

وأقول : ليس كل سبّ على حدّ سواء ، بل فرق بين سبّ وسبّ . والسباب : أشدّ من السبّ . وسباب كل مؤمن : فسق . أي : خروج عن طريقة الإسلام . فكيف سب ـ أو سباب ـ من هو سلف صالح للأمة ، وإمام لهم ؟ قاتل الله الرفضة ! فقد نالوا منهم : ما لم يكن بحساب ، وأتوا في سبّهم : بكل قبيح من أقسام السباب . وهذا من علامات الكفر ، لقوله تعالى : « لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ »[2].

وفي حديث آخر : مرفوع : « اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي . لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً مِنْ بَعْدِي . فَمَنْ أَحَبَّهُمْ : فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ . وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ : فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ »[3] .

---

(١) (انتهى) كلام عياض . كما حكاه عنه النووي ، ص ٩٣ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٨) جزء من الآية الأخيرة من سورة الفتح . المحقق .

(٣) هذا الحديث رواه الترمذي بسنده ، عن عبدالله بن مغفل . إلا أنه ذكر « الله الله في أصحابي » مرتين . وفيه : « لا تتخذوهم غرضاً بعدي » بدون « من » . وبقية الحديث : « وَمَنْ آذَاهُمْ ، فَقَدْ آذَانِي . وَمَنْ آذَانِي ، فَقَدْ آذَى اللَّهَ . وَمَنْ آذَى اللَّهَ ، فَيُوشِكُ : أَنْ يَأْخُذَهُ » . قال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . انظر سنن الترمذي . المجلد ٥ ص ٦٩٦ ط استانبول . المحقق .

وهـذا دليل على أن حبهم : من حب الرسول ، وبغضهم من بغض الـرسـول . ولا ريب في كفر من يُبغض الرسول ، ويتخذ أصحابه غرضا لسهـام السبـاب ، ويخـالف الأمـر النبـوي في ذلـك : مع هذا التحذير الشديد ، الذي صدّره صلى الله عليه وآله وسلم : باسم الجلالة . وما لنا ولهم ؟ « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » . ولكن لا دواء لداء الجهل والضلالة . ولا مهديَّ إلا من هداه الله .

« والنصِيف » : قال أهل اللغة : « النّصف » وفيه أربع لغات ؛

كسـر النون ، وضمها ، وفتحها ، وزيادة الياء . حكاهنّ عياض في « المشارق » ، عن الخطابي .

ومعنى الحـديث : لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ ثوابه في ذلك : ثواب نفقة أحد أصحابي : مدّاً ، ولا نصف مدٍّ .

قال القـاضي : ويؤيد هذا : ما ذهب إليه الجمهـور ؛ من تفضيل الصحابة كلّهم : على جميع من بعدهم . يعني : إلى يوم القيامة .

قال[1] : وسبب تفضيل نفقتهم : أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال ، بخلاف غيرهم . ولأن إنفاقهم كان في نصرته ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وحمايته . وذلك معدوم بعده . وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم . وقد قال تعالى : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً » الآية[2] .

(١) (قال) أي : عياض ، كما حكاه عنه النووي ، ص ٩٣ جـ ١٦ المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) جزء من الآية (١٠) من سورة الحديد . المحقق